Argumentation through Evidentiary Proof in Andalusian Poetry during the Taifa Period

Researcher: Layali Saeed Nouri Obaid
E-mail: pgs.layali.saeed@uobasrah.edu.iq

Professor Dr. Khalid Abdul-Kadhim Adhari Al-Majidi
E-mail:khalid.authairi@uobasrah.edu.iq
University of Basrah / College of Education for Human Sciences

Abstract:

Poetry has exercised influence across different times and places, and poets possess their own distinctive language through which they articulate their ideas and translate them into lived reality. This is particularly evident among the poets of the Taifa period, who employed a variety of methods to express and reveal their ideas. They contributed to the enrichment of Andalusian poetry through the artistic masterpieces they produced, employing prominent rhetorical and artistic techniques to engage their audiences and influence them across a wide range of poetic themes.

The Taifa period was marked by numerous events, conflicts, and challenges. Consequently, poets resorted to various methods in presenting and addressing their concerns, one of the most significant of which was argumentation through evidence.

Keywords: Argumentation, Evidence, Signification, Andalusian Poetry, Taifa Period.

الاستدلال بدليل الاثبات في الشعر الاندلسي في عصر ملوك الطوائف(*)

الباحثة: ليالي سعيد نوري عبيد **الاستاذ الدكتور خالد عبدالكاظم عذاري الماجدي**
جامعة البصرة / كلية التربية للعلوم الإنسانية
E-mail: pgs.layali.saeed@uobasrah.edu.iq E-mail:khalid.authairi@uobasrah.edu.iq

الملخص:

للشعر تأثيرٌ في كل زمانٍ ومكان، وللشعراء لغتهم الخاصة في طرح أفكارهم وترجمتها على أرض الواقع، ولا سيما شعراء عصر ملوك الطوائف؛ إذ سلكوا طرائق متعددة للكشف عن أفكارهم، وأسهموا في إثراء الشعر الأندلسي من خلال ما قدّموه من تحف فنية استخدموا فيها أبرز الأساليب الفنية لاستمالة المخاطَبين والتأثير فيهم في شتّى الموضوعات الشعرية. وقد كان عصر ملوك الطوائف عصرًا حافلًا بالأحداث والصراعات والتحديات، فلجأ الشعراء إلى عدة أساليب في طرح قضاياهم، كان أهمها أسلوب الاستدلال.

الكلمات المفتاحية: الاستدلال، الدليل، الدلالة، الشعر الأندلسي، عصر الطوائف.

* بحث مستل من رسالة الماجستير الموسومة: **ملامح الاستدلال في شعر عصر الطوائف في الأندلس من (٤٢٢ هـ –٤٨٤ هـ) (دراسة تحليلية).**

المقدمة :

تتناول هذه الدراسة موضوع الاستدلال في الشعر الأندلسي بوصفه أسلوبًا فنيًا اتبعه بعض الشعراء في عصر ملوك الطوائف في الأندلس، وقد سعت إلى إبراز دوره في عدد من النصوص الشعرية وبيان الآليات التي اعتمدها الشعراء في نظم أشعارهم بواسطته؛ إذ عمدوا إلى توظيف فكرة الاستدلال بدليل الإثبات لإثبات صدق قضية معينة وترسيخ الأفكار التي يطرحونها بقصد التأثير في المخاطَب.

وتأسيسًا على ذلك، جرى اختيار نماذج شعرية تتناسب وموضوع الدراسة، إذ اقتصرت الدراسة على شواهد شعرية محددة، لكونها دراسة انتقائية تعكس فكرة الاستدلال في بعض النصوص الشعرية، وليست دراسة إحصائية شاملة لجميع شعر تلك المرحلة. وقد تم اختيار موضوع الاستدلال في الشعر لكونه من الموضوعات التي لم تُدرس سابقًا، ولم يحظَ بنصيب في الدراسات الأدبية، ولم يُتناول من قبل بالبحث المستقل، مما يجعل هذه الدراسة من أوائل الدراسات التي تتناول هذا الموضوع في مجال الشعر.

ومن الجدير بالذكر أن فكرة البحث قائمة على مفهوم الاستدلال بوصفه أحد الأساليب المتبعة لدى بعض شعراء عصر ملوك الطوائف، ولا يتعمق البحث في أقسام الاستدلال؛ أي إنه لا يتخذ من أنواع الاستدلال (القياس، الاستقراء، التمثيل) آلية يسير عليها، بل يعتمد على فكرة طرح المقدمة (الدليل) ثم الاستدلال عليها وصولًا إلى النتيجة، دون الخوض في تفصيل أنواعه.

أولاً :الاستدلال لغة واصطلاحاً

قبل الغور في تفاصيل هذا البحث لابد من معرفة أساسيات مهمة تُعد مدخلاً إليهِ ، أهمها معرفة اصل الاستدلال في اللغة والاصطلاح . فالاستدلال لغة : من الفعل دّلَّ يَدِلُّ إذا هدى ، ودَلَّ يَدِلُّ إذا مَنّ بعطائه [١] ، و " استدل عليه ، طلب أن يدل عليه وبالشيء على الشيء اتخذه دليلاً عليه " [٢] . وهو أيضاً " تقرير الدليل لإثبات المدلول ، وقد يكون مطوعاً لدلهِ الطريق " [٣] .

ويعرف الاستدلال اصطلاحاً على أنه : " طلب الدليل . ويطلق في العرف على إقامة الدليل مطلقاً من نص أو اجماع أو غيرهما ، وعلى نوع خاص من الدليل . وقيل :هو في عرف أهل العلم تقدير الدليل لإثبات المدلول سواء أكان ذلك من الأثر إلى المؤثر أو بالعكس " [٤] . ومعنى ذلك أن الاستدلال هو " الاهتداء بالدليل والاقتفاء لأثره حتى يوصل إلى الحكم ، والتفكر فيها قد يكون على وجوه ولذلك خصّ منها التفكر على وجه الطلب للعلم بالحكم المطلوب أو لغلبه الظن في كثير من الأحكام التي ليس طريقها العلم " [٥] .

واستناداً لذلك نجد الاستدلال يحمل معنى " طلب الدليل ، باتخاذ المعنى الأول المفهوم من اللفظ دليلاً على معنى ثانٍ ، فهو علاقة بين معنيين متلازمين أحدهما منطوق والآخر مستلزم منهُ بوجه من الوجوه " [٦] . ومن خلال ما تقدم يمكن إضافة الاستدلال إلى النصوص الشعرية بوصفه أسلوبًا فنيًا يُمكّن

المتلقي من استنتاج قضايا معينة، ويعزّز قدرة الشاعر على الدفاع عن موقفه وطرح أفكاره بصورة مؤثرة، فضلًا عن تحديد وجهة نظر واضحة تسهم في توجيه المتلقي نحو اتخاذ موقف محدد إزاء شخصية معينة أو حدث بعينه.

ثانياً : الاستدلال بدليل الإثبات:

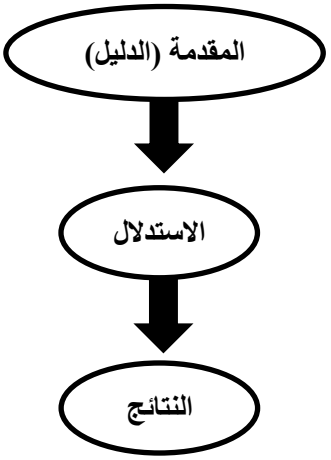
بُنيت بعض النصوص الشعرية بالاستناد إلى عدة أساليب، من بينها أسلوب الاستدلال، ولا سيما أن عصر ملوك الطوائف كان متميزًا ومليئًا بالأحداث؛ ونتيجة لذلك جاءت النصوص الشعرية متنوعة وشاملة لأغلب موضوعات تلك المرحلة. ففي الجانب السياسي برزت الحاجة إلى إبراز الاستدلال؛ إذ قدّم الشعراء موضوعات قصدوا بها التأثير في المخاطَبين لمصلحة حاكم معيّن أو فئة سياسية معينة، فاستعانوا بالدليل الذي تمثّل في مقدمات طرحوها لدعم أفكارهم وتقوية حججهم وتعزيز مواقفهم، واستندوا إلى الدليل المثبت الذي أثبتوا فيه صدق دعواهم، وهو دليل شمل أدلة تُستنتج من خلال التفكير السليم؛ وبذلك يعزّز الأفكار ويدعم الحجج ويؤثر في المتلقي، مع التأكيد على أن للمتلقي كامل الحرية في القبول أو الرفض، إذ يطرح الشاعر الأدلة ويترك للمتلقي حرية التصديق أو عدمه، لأن الأسلوب المتبع هو الاستدلال لا الحِجاج الذي يمثل عملية خطابية تأثيرية إقناعية؛ ففي الحجاج تظهر الحاجة إلى التأثير والإقناع المباشر، أما في الاستدلال فتكمن حرية المتلقي في استخلاص النتائج من الأدلة المقدَّمة وتحديد موقفه بناءً على ذلك، دون أن يتضمن الأمر ردًّا أو جدلًا على رأي مخالف؛ فالاستدلال عملية عقلية قائمة على البرهان.

إن الدليل المثبت دليل ملموس في النصوص الشعرية، ساعد الشعراء على بناء نص شعري قوي الحجة وأقرب إلى التصديق، بعد أن حوّلوا هذا الدليل من صورته المنطقية إلى نماذج شعرية ذات تأثير عميق، محيطين تلك النصوص بالصور الجذابة والوصف الدقيق والأسلوب الممتع، فقدموا الأفكار المنطقية والمعاني الاستدلالية بطريقة برهانية وبأسلوب صادق، وضربوا للمجتمع آنذاك أمثلة وصورًا من واقع الحياة، وصوّروا تلك الأحداث بطريقة قابلة للتصديق وأقرب إلى أفكارهم، وركّزوا على الدلالات المتنوعة واختيار الأمثلة والأحداث المؤثرة في الناس، وقدموا نصوصًا مؤثرة، سواء في شخص معين أم في حادثة معينة، وكل ذلك من أجل أن يتفاعل المتلقي مع مضمون شعرهم وغايتهم وما يسعون إلى تحقيقه. وتلك الأمثلة الشعرية مبطّنة بالاستدلال بدليل الإثبات؛ إذ يعمل الاستدلال على "استنتاج قضية من قضية أخرى أو استنتاج قضية من قضايا أُخر" [٧] .

وهذا ما يميز العملية الاستدلالية كونها "عملية إدراكية تشمل على الحقائق والفرضيات والاستنتاج للوصول إلى حل المشكلة " [٨] . وأمر الاستدلال يتفق مع سائر جوانب الشعر، من ديني واجتماعي، فضلًا عن شتى الأغراض الشعرية الأخرى، وأكثر ما يتلاءم مع قصائد المدح؛ إذ يستحضر الشعراء كثيرًا

من الأدلة لغرض عكس صورة حسنة عن الممدوح وإظهار الجوانب الإيجابية في شخصه، وإلحاق الضرر بمنافسيه.

وفي بعض الأحيان يستعين الشاعر بأسلوب الاستدلال في غرض الهجاء، فيطرح الأدلة التي تُشوّه صورة شخص معيّن لإثبات فساده وسوء شخصيته. وعلى هذا النحو كان للاستدلال دوره في دمج قضايا المجتمع بأدلة منطقية عقلانية، وصياغتها بأسلوب وجداني عاطفي، بحيث لا يؤثر الاستدلال فيها تأثيرًا سلبيًا، بل كان لطيف الحضور، أضاف إلى النصوص الشعرية رونقًا وجمالًا، ولم يجرّد الشعر من عاطفته، ولم يربكه أو يؤثر فيه سلبًا، بل على العكس أغنى النصوص الشعرية وأثرى مضامينها؛ إذ نكتشف في نهاية النصوص أن المقدمات المطروحة، التي مثلت الأدلة، تقود إلى استنتاج وتحليل يُمكّنان من الوصول إلى النتيجة. وعليه تتجلى أهمية الاستدلال في الخطاب الشعري، والمخطط الآتي يوضح طريقة استخدام الشعراء لأسلوب الاستدلال:



وعلى هذا الأساس وظّف الشاعر الألفاظ واختار المفردات التي تؤدي المعاني الاستدلالية؛ إذ «ترتبط عملية الاستدلال ارتباطًا وثيقًا باللغة، وقد يصعب أحيانًا التمييز بين القصور في القدرة على الاستدلال والقصور في استخدام اللغة وفهمها، بل إن هناك من يرى بأن اللغة هي الأساس بالنسبة للقدرة على الاستدلال" [٩] ، وقد عزّز الشاعر فاعلية النص، التي تتحدد في توفير ما يكفي من الإمكانات والخصائص ليبرز في مقامه وسياقه بالشكل الصحيح، أو ليكون فاعلًا في إدماج المخاطَب ومحاولة استمالته. فالنص أداة في سياق تخاطبي محدد، غير أن هذه الأداة تتحول هي نفسها إلى موضوع للتفكير والتأمل والاستنتاج عند المتكلم؛ وبهذا التحول يمتلك النص فاعلية أقوى، وهو ما يسعى الشاعر إلى تحقيقه من أجل التأثير في نفس المتلقي [١٠] .

ويعد الشاعر ابن حصن من الشعراء الذين ترجموا أفكارهم بناءً على أسلوب الاستدلال في قصيدتهِ التي يقول فيها [١١] : **[الطويل]**

" حوى من الفخرِ ما لم يَحْــوِهِ مَلِكٌ وحاز ما لم يَحُزْهُ العُرْبُ والــرومُ
أغــرُّ مبتــهجٌ فــاح الــزمان به كأنّما دهــرنا بالمسـكِ مرثــوم
هو الجواد الذي أضحى السّماح له رَيْطاً كــأنَّ العــطايا فيــه تعليم
قــد كفــل الخلقَ جــدواهم فعمّهمُ كأنَّما الــرزقُ مـن كفَّيْهِ مقسومُ
إذا نبــا حادثٌ للـدهــر عــنَّ لهُ عزمٌ ثنى المتنَ منه وهو مَفْصوم
يا هــــا أميّة لا تقرب لحمصَ حمى محــمدٍ ما تحــامى فهو ترخيم
كــذاك آبــاؤه الماضــون همْ أكمَا تُ العزّ ما ظُلِموا يوماً ولا ضيموا
إذا نظــرتَ فأشــكالُ البــدورِ وإن خَبَرْتَــهُمْ فهــمُ الأسْــدُ الضراغيم
نمــاك للمجــد عبّــادٌ فأنــت له نجلٌ سَــمَتْ بكما الصِّيدُ اللهاميم
هــذه الليالي على حكْــمٍ وإن رغمت زمامها بكــلا كفــيَّكَ مــزمــوم "

يطرح الشاعر في هذه الأبيات مجموعة من المقدمات يتخذها أدلة لإيضاح جوانب شخصية ممدوحه، ليرفعه إلى مكانة عالية؛ فأول الأدلة إبراز الفخر الذي حظي به ممدوحه، في إشارة إلى علو شأنه بين أصحاب السلطة، ويقصد هذا المعنى عندما يذكر الروم والعرب؛ إذ يُعدّان من رموز القوة والمهابة، ليؤكد أن مكانته قد تجاوزت ما بلغته تلك الأمم. وهو بذلك يستدعي دليل الفخر بالممدوح الذي منح فكرة استعلاء الحاكم بُعدًا تأمليًا تاريخيًا، وهذا يُعد أيضًا دليلًا على المجد والعزة وتخليد الذكرى؛ فالاستدلال الصريح الواضح تكون حججه بيّنة ومبرهنة بالعقل والوجدان.

ومن الأدلة الأخرى إظهار القيمة الأخلاقية والتربوية لشخص الممدوح؛ إذ يذكر ما يتصف به من جود وكرم وعطاء وسماحة، فتغدو فكرة المدح فكرة نامية تغرس معنى العطاء والسخاء في المجتمع. ويتضح ذلك في مطالع الأبيات؛ إذ يطرح الأدلة المتضمنة لمعاني الفخر والخلود والمجد والأخلاق الحسنة، وقد أبرز ذلك باستدلال فني جمع من خلال أدلته صورًا محسوسة لإظهار جمالية شخصية الممدوح.

ثم يعمد الشاعر إلى بناء نصه من خلال رؤية عميقة؛ إذ يقدّم فكرة أن الخلق مختلفون في وجودهم وصفاتهم، ويدعم هذه الفكرة بتصوير فني بلاغي يظهر فيه الاستدلال العقلي ليؤثر في المتلقي. فيذكر مقدمة تُعد إشارة عقلية مفادها أن الخلق ذوو أصل واحد، غير أن الاختلاف يكون في الفهم والإدراك، وهو بذلك يطرح مفهوم الاختلاف بين الناس، ويدمج هذه الأفكار مع فكرة اقتسام الأرزاق التي سنّها الله تعالى، ومن ضمن تلك الأرزاق العقل والحكمة، وهذا دليل تسربت إليه روح المنطق ليكشف أوجه التفاوت بين

الناس. ثم يتطرق إلى أدلة أخرى، منها الحلم والعفو اللذان يسموان بالنفس الإنسانية ويُعدّان مظهرين من مظاهر العظمة، كما يتناول الشجاعة والقوة الحقيقية، إذ يشبّه ممدوحه بالأسود الضارية.

وكنتيجة للتحليل السابق، يجمع الشاعر أدلة مفادها الفخر والعزة والمكانة والسخاء والجود والكرم والأثر الطيب وخلود السيرة والأخلاق الحسنة والشجاعة والمروءة، ليثبت أن ملكه من أهم ملوك الطوائف وأكثرهم رفعة وأعظمهم منزلة وأكرمهم مكانة، مستخدمًا دليل الإثبات؛ فيكون لدينا استدلال بدليل الإثبات طرح فيه الشاعر أدلته وترك للمتلقي حرية الاستجابة والتصديق أو عدمهما. وفيما يخص الدليل بصفة عامة عند العلماء، فهو كل ما يستلزم المدلول، بحيث يكون الدليل ملزومًا والمدلول لازمًا " [١٢] . ينطبق الأمر ذاته عند الشاعر ابن حزم الأندلسي الذي يقول في قصيدته عن الأخلاق [١٣] :

[الرجز]

" إنَّما العـــقل أساس فوقه الأخــلاق سور
فَتحل العـــقل بالعلـ ـــمِ وإلا فهـو بور
جاهِل الأشياء أعمى لا يــرى حَـيث يدور
وَتمـــام العلم بالعدْ لِ وإلا فهـــو زور
وتمام العـــدل بالجو دِ وإلا فيـــجـــور
وملاك الجود بالنجـ ـــدةِ والجبن غـرور
عـــف إن كنت غيوراً مازني قـــط غيـور
وكمـال الكـــل بالتقـــ ـوى وقول الحق نور
ذي أصول الفضل عنها حَدَثـــت بعـد النزور "

لقد أوضح الشاعر أن العقل السليم هو الطريق الأوضح إلى الأخلاق وإلى كل فضيلة، وأن ما يملكه الإنسان من معرفة وعلم لا يمكن أن يستنير إلا بعقل واعٍ راجح. وقد برهن على ذلك من خلال جملة من الاستدلالات العقلية، وجعل الأخلاق الحسنة نتيجة واضحة لوجود عقل ناضج مفكّر، من غير أن يفصل أحدهما عن الآخر؛ فالجوهر الذي يحمي الإنسان ذا الدراية والعلم هو أخلاقه ومبادئه، ولا يمكن أن يُتصوَّر إنسان ذو عقل نيّر وهو فاقد للأخلاق، لأن كلاً منهما متمم للآخر. وقد وصل الشاعر إلى هذه النتيجة من خلال السير على مبدأ أن الاستدلال "حركة فكرية تُؤدَّى من خلال عمليات عقلية متلاحقة تربط بين السبب والنتيجة للوصول إلى الحكم" [١٤] .

ثم ينتقل إلى استدلال ثانٍ يربط فيه بين العقل والعلم بعد أن ربط بين العقل والأخلاق؛ إذ يرى أن العقل شرط من شروط الازدهار العلمي، فكل عقل عظيم إذا لم يُتوَّج بالعلم والمعرفة يُظهر آثار الجهل

والضلال. ولم يكتفِ بذلك، بل طرح مقدمة جديدة قائمة على استدلال أخلاقي يعود إلى نتيجة مفادها أن ادعاء العلم بلا عقل محض افتراء وتضليل، وهذا يُعد استدلالًا عقليًا وفكريًا دقيقًا.

ويصل إلى ذروة الاستدلال عندما يذكر بعض القضايا التي تُعد أساس الإنسان السليم، فيبيّن أن العدل والإنصاف لا يكتملان إلا بالرحمة التي تغمر المرء، والجود الذي يُعد من أرقى صفاته؛ فهذه القيم الإنسانية النبيلة ثمرة العقل المقترن بالفهم والانضباط. ويربط الشاعر كل هذه الأفكار بمبدأ قائم على اقتران العقل بالتقوى والسمو الأخلاقي والسلوك الإنساني، ومن خلال ما قدمه من أفكار يمكن استنتاج استدلال متدرج على أهمية العقل الواعي الذي يقود الإنسان إلى الوجهة الصحيحة. ومما ينبغي التنبيه إليه أن "النتيجة في الاستنتاج لا يجوز أن تتضمن أكثر مما هو متضمن في القضية الأصلية" [١٥] ، وبذلك استخدم الشاعر الاستدلال بدليل الإثبات، وركّز على قيمة هذا الدليل القائم على الخلق الرفيع والتوجيه السليم، وهي نتيجة يمكن الوصول إليها من خلال الاستنتاج اعتمادًا على الأدلة التي ذكرها الشاعر وعُرضت في التحليل. وفي سياق متصل، يسير الشاعر ابن حمديس على خطى الشعراء، فيترجم أفكاره بطريقة استدلالية في قصيدة يقول فيها [١٦] : **[الكامل]**

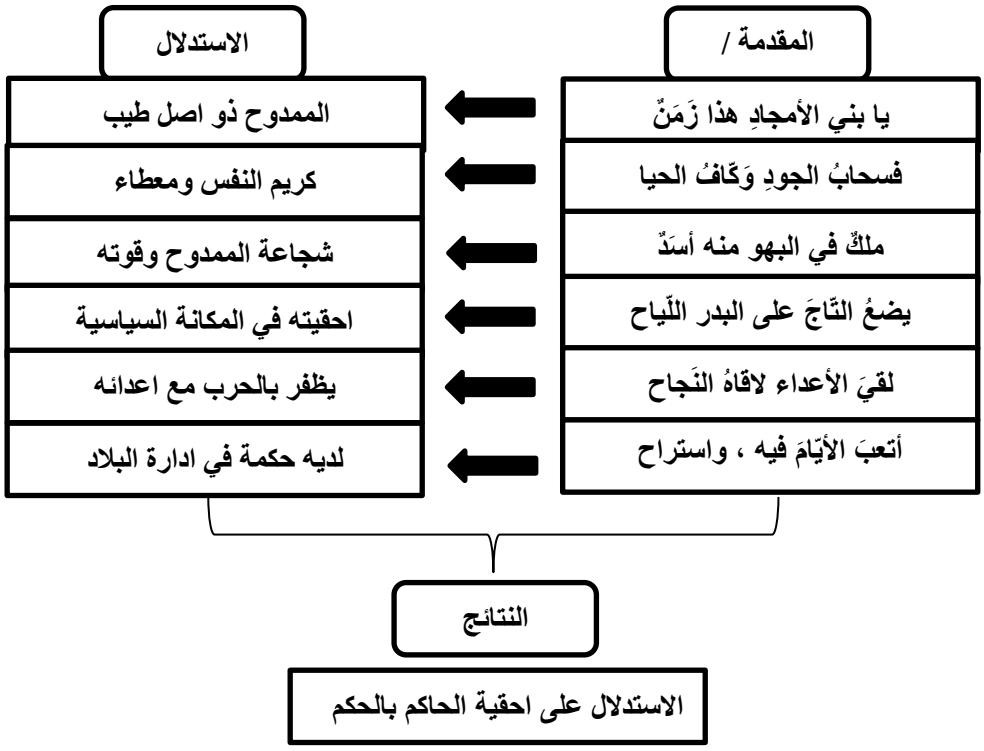
" يا بني الأمجادِ هذا زَمَنٌ رَفــعَ الآدابَ مـــن بعدِ اطّراح
فسحابُ الجودِ وَكّافُ الحيا ومَـــراد العيش مُخْضَرّ النّواح
ويمــينُ ابــنِ تميمٍ عَلّمَتْ صنعةَ المعروفِ أيْمانَ الشّحاح
ملكٌ في البهــو منه أسَـدٌ يضعُ التّاجَ على البـدر اللّياح
حالفَ النصــر من اللهِ فإن لقــيَ الأعــداء لاقاهُ النَجاح
كلّما هَـــــمّ بأمْــرٍ جَـلَلٍ أتعــبَ الأيّامَ فيه ، واســتراح "

في هذه الأبيات الشعرية خطاب مباشر يحمل معاني التعظيم والوقار والرفعة لممدوح الشاعر، ويتضمن توجيهًا في الجانب الأخلاقي وكيفية الالتزام به؛ إذ يقوم النص على أساس الموعظة والحكمة، والربط بين عناصر المجتمع من أدب وخُلُق وعلم ومعرفة، وما يتمتع به الحاكم من صفات تميّزه عن غيره. وقد تناول الشاعر عدة محاور، طارحًا لها أدلة توضيحية استدلّ من خلالها على أن الحاكم ذو أصل طيب، وخاطبه بـ(ابن الأمجاد)، وأنه يتصف بحسن الخلق والكرم والعطاء، وهي صفات تُعد أساس الرفعة والمجد؛ فاستدلّ على أن نهضته دليل على النهوض بالمبادئ الإسلامية التي يقوم عليها المجتمع.

ثم ينتقل إلى محور آخر يقدّم فيه مقدمة لافتة، مفادها أن الإنسان غالبًا ما يجمع بين العلم والمعرفة والأخلاق الحسنة من جهة، وبين الإيمان والتقوى من جهة أخرى، ويُعدّ ذلك دليلًا فكريًا على قيمة المعرفة التي لاحظها الشاعر في ممدوحه، إذ مزجها بالتقوى والعمل الصالح. ويستمر في هذا المسار، مقدّمًا أفكاره مدعومة بأدلة متنوعة، مستدلًا بها على ما يجول في خاطره، إلى أن يصل إلى أن القوة والإرادة

والعزم أسباب في مواجهة الأعداء، وأنها من رموز الشجاعة وأسس القتال، وهي صفات توافرت في الحاكم. وفي النتيجة، يظهر أن الشاعر استخدم أدلة تُعظّم ممدوحه، منها دليل الفخر بالأهل والنسب، ودليل المعرفة والأخلاق، ودليل الشجاعة وقوة الإرادة، والحكمة والكياسة، وقد أحسن توظيفها في سياق استدلالي يُبرز ملامح تلك الشخصية السياسية.

والمخطط الآتي يوضح طريقة وضع المقدمات (الأدلة) للوصول من خلالها إلى الاستدلال، ثم إلى الاستنتاج الذي يُعد خلاصة أفكار الشاعر :



وللشاعر ابن زيدون نص شعري بمعاني استدلالية اتبع فيه أسلوب الاستدلال وطريقة نظم الشعراء له، حيث يقول فيه [١٧] : **[البسيط]**

" يا أَيُّهَا المَـــلِكُ الَّذِي عَلياَؤُهُ مَثَلٌ . تَنَاقَلُهُ اللَّيالي . سائَرُ
يا مَنْ لبرقِ البشرِ مِنهُ تَهَلّلٌ ماَ شيمَ إلا انهلَّ جُودٌ هَامِرُ
أَنْتَ ابْنُ مَـنْ مَجـدَ المُلُوكَ ، فَإِنْ يَكُنْ للمَجْدِ عَيْنٌ فَهُوَ مِنْهَا نَاظِرُ
مِلكٌ أَغَـــرُّ ازْدَانَتِ الدُّنْيَا بِهِ وَاعَـــزَّ دِينَ اللهِ مِنْهُ نَاصِـرُ
أَبْنَاكَ في ثَـــبَجِ المَجَـــرَّةِ قُبَّةً فَهَنَاكَ أَنَّكَ للنجُـــومِ مُحاضِرُ
وتَلَقَّ . مِنْ سِمَتيْكَ . صِدْقَ تَفَاؤُلي فَهمُا المُؤَيَّدُ بِالإِله الظَّافِرُ "

في النص الشعري يحاول الشاعر الاستدلال على استحقاق الحاكم لمنصبه بما يمتلكه من إدارة قوية للبلاد، إذ ذكر العديد من المقدمات صاغها أدلةً، وقد ابتدأ بمناداة الملك ذاكرًا معاليه وأمجاده وسيرته الحسنة التي تناقلتها أحاديث الناس على نحو مستمر، لما يتصف به من جود فياض وكرم لا محدود وعطاء لا ينضب، يشعر من حوله باستمرارية العطاء والبذل بقدر ما يستطيع.

ثم يطرح فكرة أخرى تزيد من تأكيد مكانة هذا الحاكم، ويستدل على ذلك بدليل الوراثة؛ فهو ابن الملوك الأمجاد الذين سبقوه، ومنجب من بعده ملوكًا أشدّاء أقوياء في مواجهة الشدائد، فهو مدعاة للمجد والفخر والعزة، ومستحق لمكانته بجدارة. وهذه الأفكار قادرة على إحداث استدلال بدليل الإثبات على أحقية هذا الحاكم، بعد أن أثبت الصفات والمناقب التي امتلكها الممدوح؛ وبذلك يستخدم الشاعر الدليل المثبت لإثبات صدق دعواه والتأثير في المخاطَبين، حيث "دلّ العقل على ثبوته ودوامه" [١٨] . وعاد فأثبت بالدليل استحقاقه للحكم؛ إذ ذكر أن هذا الملك ابنُ من حافظ على دين الله وأعزَّه، وبذل في سبيله، ومنحه من حكمته ومكانته ما يجعله قادرًا على مواصلة العطاء كما فعل أبوه؛ أي إنه سليل الملوك الأمجاد الذين تخلَّدت ذكراهم. فهو الأحق في نظر الشاعر، إذ أسبغ عليه ألقابًا مثل (المؤيد) و(الظافر)، وهما من الألقاب التي يُوصف بها الملوك الذين يحالفهم النصر والتأييد. وتُعد هذه الأدلة مما تُثبته العقول السليمة ولا تنفيه، وذلك على وفق ما يقتضيه العقل من طرائق الاستدلال " [١٩] . وخلاصة لما تقدم نجد الأبيات احتوت على فكرة الاستدلال واستعانت بدليل الإثبات لتقريب رؤية الشاعر عن ممدوحه .

وبما إن الاستدلال " أداء عقلي معرفي يتم فيهِ استخلاص أو الوصول إلى معرفة مجهولة وجديدة من معارف وخبرات سابقة معلومة " [٢٠] فقد عمد الشاعر ابن عمار الأندلسي على هذه الآلية ومدح المعتمد بن عباد في قصيدة مطّولة ، وأظهرت الأبيات ملامح الاستدلال وجماليتهِ في النصوص الشعرية ، يقول فيها [٢١] : **[الكامل]**

" لَهُ هِزَّةٌ في الجُودِ مُعْتَضِديَّةٌ ... تَهِزُ إلى التَّشتيت شَمْلَ الدَّراهمِ
إذا نَشَرَتْ لَخْمٌ بذكراهُ فَخْرها ... طَوَتْ طَيء مِنْ خجلةٍ ذِكْرَ حاتمِ
أَبى أَنْ يراهُ اللهُ غَيْرَ مُقَّلدٍ ... حِمالةَ سَيْفٍ أو حِمالةَ غارِمِ
وَمَنْ مثلُ عَبَّادٍ ومَنْ مِثلُ قومْهِ ... لَيوثَ حُروبٍ أو بُدورَ مواسمِ
أَلِكِني بالتسليمِ منهم إلى فتى ... تهادَى بهِ جردُ العِتاقِ الصَّلادمِ
إذا رَكِبوا فانظُرهُ أوّلَ طاعنٍ ... وإنْ نَزَلُوا فَارْصَدْهُ آخِرَ طَاعمِ
أَغرُّ مَكيْنٌ في القُلوبِ مُحَبّبٌ ... إليْها عَظيمٌ في نُفوسِ الاعاظِمِ
تَبوّأ مِنْ لَخمٍ وَناهيكَ مَقْعَداً ... مَكانَ رسولِ اللهِ من آلِ هَاشِمِ "

تقف الأبيات عند جملة من الصفات التي ذكرها الشاعر في الملك؛ فهو جواد كريم ينتمي إلى نسب رفيع من قبيلة لخم، وقد تحدّث عن قبيلة طيّء، وأن القبائل تتوارى وتخجل إذا ذُكرت لخم، وما ذلك إلا اعتزازًا من الشاعر بأصول الحاكم، إضافةً إلى تصوير شجاعته وبسالته في الحروب ومواجهة الأعداء. ففي هذا النص الشعري ينتقل الشاعر من ذكر الفخر بالمعتمد بن عباد وقبيلته وقومه إلى إبراز شجاعته، ثم إلى عقد مقارنة بين قبيلته والقبائل الأخرى؛ أي إنه ينتقل من دليل إلى آخر، ويوثّق قوله بإبراز تفاصيل يترجمها في صورة مقدمات توصله إلى النتائج.

ثم يوضح ابن عمار أن ملكه شخصية نادرة، مؤثرة في قومه، ومحببة إلى نفوس الأكابر، وذات مكانة أشبه بمكانة الرسول عند الهواشم؛ فتكون النتيجة اعتماده على عدة براهين وأدلة مثبتة ليؤثر في نفس المتلقي بطريقة شعرية بعيدة عن التعقيد، أقرب إلى الواقعية، تسلّط الضوء على المغزى من الأبيات، وهو القوة والشجاعة والفخر ورباطة الجأش والإرادة الرصينة الحاسمة والإدارة الجيدة لشؤون البلاد. وبذلك قدّم الشاعر أبياتًا قائمة على الدليل المثبت، لذكره أدلة متنوعة ومتعددة، وترك للمتلقي حرية التفكير في معناها وقبولها؛ إذ إن «الربط بين المعنى ونظيره قائم على اجتهاد المفسر ونظره" [٢٢] .

من الشعراء النابهين الذين أفادوا من الاستدلال هو الشاعر أبو علي إدريس اليماني الذي مدح باديس بن حبوس حيث يقول في قصيدة له برز فيها اسلوب الاستدلال [٢٣] : **[الطويل]**

" القائِدُ الجُــرْدَ الـعـتاقَ كَأَنَّها ... لَجَجٌ زَواخِرُ أَوْ عَوارِضُ لُمَّعُ
مُتوقّدٌ في الحادثاتِ إذا دَجَتْ ... فَكَــأَنَّهُ فيهـا شِــهَابٌ يَسْطَعُ
عَلَمٌ هو القَمَرُ المُباهي طالعاً ... صَنْهَاجَةً وَهُمُ الـنُجـوُمُ الطّلّعُ
مُتسربلـــين لِـكُلّ حَــرْبٍ مُرّةٍ ... بَأساً يقـرّعُ كُلَّ مـن لا يُقْرِعُ
فَلَوْ أَنَّهُمْ رَفَضوا الأَسِنَّةَ والقنا ... قَامَــتْ قلُــوبُهُمُ بـهـا والأَذْرُعُ "

تثير هذه القصيدة تساؤلات حول قدرة هذا القائد وتمكنه من إدارة الأمور، وإلى أي مدى تتجلى فيه صفات الشجاعة والفروسية حتى يرسمه الشاعر بهذه الدقة. وتبدو صورة الممدوح من خلال الأبيات بوصفه بطلًا مقاتلًا يواجه حوادث الدهر، وقد غطّت الأبيات جانب الفروسية في شخصه، إذ استخدم الشاعر الألفاظ الجزلة والأسلوب الرصين والمفردات الواضحة الدلالة.

وسلّط الشاعر الضوء على الجوانب الإيجابية في شخصية الملك، وهي صفات ينبغي أن يتحلى بها من كان في مكانته، وحدد مرتكزات لها أثر في نفس المتلقي، منها الصفات الحسنة، والقدرة على إدارة شؤون البلاد والتمكن من ذلك، وهي أمور لا يمكن إغفالها لكونها أقرب إلى بناء الدليل اللغوي. فخاطب الجمهور مطمئنًا إياهم إلى عدم هدر حقوقهم أو مصادرة حرياتهم في ظل سلطته، وجعل الإشارات التي افتتح بها، مثل (القائد، متوقد في الحادثات، الشهاب الساطع، القمر المباهي)، أدلة وبراهين تقود إلى نتيجة

تعكس ثقته بعدالة هذا الحاكم، ولا سيما أنه . في رأي الشاعر . لا يوجد في زمنه من هو أحق بإقامة الحق منه، فأثبت بذلك دليل أحقيته في إدارة البلاد.

ومن هذا المنطلق يمكن الوصول إلى نتيجة يسعى الشاعر إلى إيصالها ضمن سياق واحد، مفادها أن باديس بن حبوس أهلٌ للمكانة التي يتبوؤها. وقد صاغ أفكاره وحاك مفرداته باللجوء إلى أسلوب الاستدلال، فبنى عددًا من المقدمات التي أفضت إلى إثبات الدليل، مع تنويع في الأفكار وترتيبها.

إن الذي يجعل الاستدلال ممكنًا هو "العلاقة الاستنباطية"، فالعقل يتمثل على وجه الخصوص في القدرة على إدراك هذه العلاقة التي تقود إلى ثراء التركيب، وانطلاقًا من هذه العلاقة الأساسية يمكن بناء نسق متكامل من العلاقات الاستنباطية الممكنة بين قضيتين" [٢٤] . وهذه الآليات هي الأساس التي اعتمدها بعض الشعراء في إدراج أسلوب الاستدلال إلى بعض النصوص الشعرية والاستفادة منها في تقديم الأفكار ومعالجتها .

النتائج :

من النتائج التي توصل إليها البحث إمكان عدّ أسلوب الاستدلال ضمن الأساليب الفنية التي أفاد منها بعض شعراء عصر ملوك الطوائف في الأندلس؛ إذ استثمروا المعاني الاستدلالية في تقديم نصوص تُفهم ماهيتها من خلال التحليل والاستنتاج، ومنحت المتلقي قدرًا من الثقة في اتخاذ موقف محدد إزاء قضية معينة.

وقد تمكّن بعض الشعراء من طرح أفكارهم عن طريق الدليل المثبت، فجاءت أدلتهم موفَّقة، أثمرت إيصال أفكارهم أولًا، وأسهمت في التأثير في المتلقي ثانيًا. وبذلك يمكن عدّ أسلوب الاستدلال من الأساليب المهمة التي خدمت غايات الشعراء في التأثير في المخاطَبين وترجيح كفّة موضوع معين، مع الاحتفاظ بحرية المتلقي في الاستجابة أو عدمها.

الهوامش :

١- يُنظر :لسان العرب، ابن منظور، تحقيق: أمين محمد عبد الوهاب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٤، ١٩٩٩م، ج٤، ص٣٩٣ (مادة: دل)

٢- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، تحقيق: إبراهيم أنيس وآخرون، انتشارات ناصر خسرو، طهران، ط٢، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م، ج١، ص٢٩٤.

٣- تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، وزارة الإعلام، الكويت، د.ط، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، ج٢٨، ص٥٠٢.

٤- الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، الكفوي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٢، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، ص١١٤.

٥- كتاب الحدود في الأصول، الباجي الأندلسي، تحقيق: نزيه حمّاد، مؤسسة الزعبي للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م، ص٤١.

٦- يُنظر :الاستدلال البلاغي، شكري مبخوت، دار الكتب الجديدة، طرابلس، ط٢، ٢٠١٠م، ص٥٠.

٧- معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، مج١، ص٧٦٣.

٨- اللغة والتفكير الاستدلالي، أكرم صالح محمود خوالدة، دار الحامد للنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م، ص٢٦٠.

٩- المصدر نفسه، ص٢٨٧-٢٨٨.

١٠- يُنظر :بلاغة الخطاب الإقناعي: نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب، حسن المودن، دار كنوز المعرفة، الأردن، ط١، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م، ص١٤٦.

١١- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ابن بسام الشنتريني، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، د.ط، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، ق٢، مج١، ص١٨٥-١٨٦.

١٢- الاستدلال في كتاب سيبويه: طبيعته وأنماطه، محمد بن حجر، أطروحة دكتوراه، جامعة سعد دحلب، الجزائر، ٢٠١٣م، ص٣٣.

١٣- ديوان ابن حزم، ابن حزم الظاهري، تحقيق: صبحي رشاد عبد الكريم، دار الصحابة للتراث، طنطا، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، ص١٠١.

١٤- من مظاهر الاستدلال في القرآن الكريم، محمد محمود عبود زوين، العتبة الحسينية المقدسة، العراق، ٢٠١٤م، ع١٩، ص٢٠.

١٥- طرق الاستدلال ومقدماتها عند المناطقة والأصوليين، يعقوب عبد الوهاب، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، ص٢٠٧.

١٦- ديوان ابن حمديس، ابن حمديس، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت، ص٩٦.

١٧- ديوان ابن زيدون، ابن زيدون، تحقيق: علي عبد العظيم، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، ١٩٥٧م، ص٥٠٩.

١٨- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: أبي حفص الأثري، دار الفضيلة، الرياض، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، ج٢، ص٩٧٦.

١٩- الاستدلال في التفسير، نايف بن سعيد، مركز تفسير للدراسات القرآنية، د.ط، د.ت، ص١٤٢.

٢٠- اللغة والتفكير الاستدلالي، أكرم صالح محمود خوالدة، ص٢٦٠.

٢١- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ابن بسام الشنتريني، ق٢، مج١، ص٣٧٢.

٢٢- الاستدلال في التفسير، نايف بن سعيد، ص١١٥.

٢٣- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ابن بسام الشنتريني، ق٣، مج١، ص٣٥٥.

٢٤- الاستدلال، روبير بلانشي، ترجمة: محمود اليعقوبي، دار الكتاب الحديث، القاهرة، د.ط، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، ص١٠٧.

مصادر البحث ومراجعه :

١. إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: أبي حفص الأثري، دار الفضيلة، الرياض، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، ج٢.

٢. الاستدلال، روبير بلانشي، ترجمة: محمود اليعقوبي، دار الكتاب الحديث، القاهرة، د.ط، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٣. الاستدلال البلاغي، شكري مبخوت، دار الكتب الجديدة، طرابلس، ط٢، ٢٠١٠م.

٤. الاستدلال في التفسير، نايف بن سعيد، مركز تفسير للدراسات القرآنية، د.ط، د.ت.

٥. الاستدلال في كتاب سيبويه: طبيعته وأنماطه، محمد بن حجر، أطروحة دكتوراه، جامعة سعد دحلب، الجزائر، ٢٠١٣م.

٦. بلاغة الخطاب الإقناعي: نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب، حسن المودن، دار كنوز المعرفة، الأردن، ط١، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م.

٧. تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، وزارة الإعلام، الكويت، د.ط، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، ج٢٨.

٨. ديوان ابن حمديس، ابن حمديس، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت.

٩. ديوان ابن حزم، ابن حزم الظاهري، تحقيق: صبحي رشاد عبد الكريم، دار الصحابة للتراث، طنطا، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

١٠. ديوان ابن زيدون، ابن زيدون، تحقيق: علي عبد العظيم، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، ١٩٥٧م.

١١. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ابن بسام الشنتريني، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، د.ط، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، ق٢، ق٣، مج١.

١٢. كتاب الحدود في الأصول، الباجي الأندلسي، تحقيق: نزيه حمّاد، مؤسسة الزعبي للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.
١٣. الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، الكفوي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٢، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
١٤. لسان العرب، ابن منظور، تحقيق: أمين محمد عبد الوهاب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٤، ١٩٩٩م، ج٤ (مادة: دل)
١٥. اللغة والتفكير الاستدلالي، أكرم صالح محمود خوالدة، دار الحامد للنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م.
١٦. معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، مج١.
١٧. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، تحقيق: إبراهيم أنيس وآخرون، انتشارات ناصر خسرو، طهران، ط٢، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م ، ج١.
١٨. من مظاهر الاستدلال في القرآن الكريم ، محمد محمود عبود زوين، العتبة الحسينية المقدسة ، العراق ، ٢٠١٤م ، ع١٩.